ثم أكد سبحانه كون هذا القرآن من عند ا وأنه A إنما يبلغ إليهم منه ما أمره ا بتبليغه لا يقدر على غير ذلك فقال : 16 - { قل لو شاء ا ما تلوته عليكم } أي أن هذا القرآن المتلو عليكم هو بمشيئة ا وإرادته ولو شاء ا أن لا أتلوه عليكم ولا أبلغكم إياه ما تلوته فالأمر كله منوط بمشيئة ا ليس لي في ذلك شيء قوله : { ولا أدراكم به } معطوف على ما تلوته ولو شاء ا ما أدراكم بالقرآن : أي ما أعلمكم به على لساني يقال : دريت الشيء وأدراني ا به هكذا قرأ الجمهور بالألف من أدراه يدريه أعلمه يعلمه وقرأ ابن كثير { ولا أدراكم به } بغير ألف بين اللام والهمزة والمعنى : ولو شاء ا لأعلمكم به من غير أن أتلوه عليكم فتكون اللام لام التأكيد دخلت على ألف أفعل وقد قرئ أدرؤكم بالهمزة فقيل : هي منقلبة عن الألف لكونهما من واد واحد ويحتمل أن يكون من درأته إذا دفعته وأدرأته إذا جعلته داريا والمعنى : لأجعلكم بتلاوته خصماء تدرءونني بالجدال وتكذبونني وقرأ ابن عباس والحسن { ولا أدراكم به } قال أبو حاتم : أصله ولا أدريتكم به فأبدل من الياء ألفا قال النحاس : وهذا غلط والرواية عن الحسن ولا أدرأتكم بالهمزة قوله : { فقد لبثت فيكم عمرا من قبله } تعليل لكون ذلك بمشيئة ا ولم يكن من النبي A إلا التبليغ : أي قد أقمت فيما بينكم عمرا من قبله : أي زمانا طويلا وهو أربعون سنة من قبل القرآن تعرفونني بالصدق والأمانة لست ممن يقرأ ولا ممن يكتب { أفلا تعقلون } الهمزة للتقريع والتوبيخ : أي أفلا تجرون على ما يقتضيه العقل من عدم تكذيبي لما عرفتم من العادة المستمرة إلى المدة الطويلة بالصدق والأمانة وعدم قراءتي للكتب المنزلة على الرسل وتعلمي لما عند أهلها من العلم ولا طلبي لشيء من هذا الشأن ولا حرصي عليه ثم جئتكم بهذا الكتاب الذي عجزتم عن الإتيان بسورة منه وقصرتم عن معارضته وأنتم العرب المشهود لهم بكمال الفصاحة المعترف لهم بأنهم البالغون فيها إلى مبلغ لا يتعلق به غيركم ؟ .

وقد أخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد في قوله : { ولو يعجل ا للناس الشر } الآية قال : هو قول الإنسان لولده وماله إذا غضب عليهم : اللهم لا تبارك فيه والعنه { لقضي إليهم أجلهم } قال : لأهلك من دعا عليه وأماته وأخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جبير في الآية قال : قول الرجل للرجل : اللهم العنه اللهم اخزه وهو يحب أن يستجاب له وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة في الآية قال : هو دعاء الرجل على نفسه وما له بما يكره أن يستجاب له وحكى القرطبي في تفسيره عن ابن إسحاق ومقاتل في الآية قالا : هو قول النضر بن الحارث : { اللهم إن كان هذا هو الحق من

عندك فأمطر علينا حجارة من السماء } فلو عجل لهم هذا لهلكوا وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج في قوله : { دعانا لجنبه } قال : مضطجعا وأخرج أبو الشيخ عن قتادة في قوله : { دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما } قال : على كل حال وأخرج أبو الشيخ عن أبي الدرداء قال : ادع ا يوم سرائك يستجاب لك يوم ضرائك .

وأقول أنا : أكثر من شكر ا على السراء يدفع عنك الضراء فإن وعده للشاكرين بزيادة النعم مؤذن بدفعه عنهم النقم لذهاب حلاوة النعمة عند وجود مرارة النقمة : اللهم اجمع لنا بين جلب النعم وسلب النقم فإنا نشكرك عدد ما شكرك الشاكرون بكل لسان في كل زمان ونحمدك عدد ما حمدك الحامدون بكل لسان في كل زمان وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة في قوله : { ثم جعلناكم خلائف في الأرض } الآية قال : ذكر لنا أن عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية فقال : صدق ربنا ما جعلنا خلائف في الأرض إلا لينظر إلى أعمالنا فأروا ا خير أعمالكم بالليل والنهار والسر والعلانية وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن جريج قال : { خلائف في الأرض } لأمة محمد A وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة في قوله : { ائت بقرآن غير هذا أو بدله } قال : هذا قول مشركي أهل مكة للنبي A وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس في قوله : { ولا أدراكم به } أعلمكم به وأخرج أبو الشيخ عن قتادة قال : { ولا أدراكم به } ولا أشعركم به وأخرج سعيد بن منصور وابن جرير عن ابن عباس أنه كان يقرأ : (ولا أنذرتكم به) وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن السدي في قوله : { فقد لبثت فيكم عمرا من قبله } قال : لم أتل عليكم ولم أذكر وأخرجا عنه قال : لبث أربعين سنة قبل أن يوحى غليه ورأى الرؤيا سنتين وأوحى ا إليه عشر سنين بمكة وعشرا بالمدينة وتوفي وهو ابن اثنتين وستين سنة وأخرج ابن أبي شيبة والبخاري والترمذي عن ابن عباس قال : بعث رسول ا A لأربعين سنة فمكث بمكة ثلاثة عشر يوحى غليه ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة